مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ٩

قصيدة شعرية من العصور الأولى للمسيحية
على ذبيحة إسحق "بردية بودمر ٣٠"

إعداد: المهندس بيشوي رمزي

قصيدة شعريّة من العصور الأولى للمسيحية

على ذبيحة إسحق: "بردية بودمر ٣٠"

إعداد المهندس بيشوي رمزي
beshoy_ramzy89@hotmail.com

تمهيد

الشعر دائمًا هو جزءٌ أصيلٌ في العبادة والحياة المسيحيّة منذ زمن الكنيسة الأولى، فنصوص العهد الجديد ممتلئة بالأشعار العميقة المعنَى، والقديس بولس الرسول يحثُّ كلّ إنسانٍ مسيحيٍّ على تلاوة المزامير والتسابيح والأغاني الروحيّة[١]، ويمكننا استنتاج، من لُغة القديس بولس، أنّ المسيحيّين الأوائل كانت لهم أنواع مختلفة من الأغاني؛ ليست فقط من التسابيح الكتابيّة[٢]، ولكن أيضًا، من تأليفهم الخّاص.[٣]

الشعر المسيحي المُبكِّر

نجد أنّ أقدم الإشارات للمسيحيّة في الأدب الوثني هي تقرير بليني الصغير، حاكم مقاطعة بيثينيّة، إلى روما إذ يتّهم المسيحيّين أنّه "كان من عادتهم أن يجتمعوا في يومٍ ثابتٍ قبل النهار وينشدون (*carmen dicere*) بالتناوب، للمسيح كما لإلهٍ" [٤]. ومن أقدم الأشعار المسيحيّة هي "أناشيد سليمان"[٥] التي تبيّن مدى ارتكاز العبادة المسيحيّة على العَلاقة والشركة الشخصيّة مع المسيح الإله.

---

[١] انظر: أف٥: ١٩ ؛ كو٣: ١٦.

[٢] انظر: مت٢٦: ٣٠؛ مر١٤: ٢٦؛ ١تي٢: ٥؛ فل٢: ٥-١١؛ أف٤: ٤-٦.

[3] Peter L. Gilbert, "On early Greek Christian poetry" in: *Person and Nature in the Theological Poems of St. Gregory of Nazianzus* (1994), pp. 122-142.

[4] Pliny, *Epistle* X.96

[5] Quasten J. , *Patrology*, vol. 1 (Westminster, 1986), pp. 160-168.

انظر: 'أناشيد سليمان'، في: *مجلة مدرسة الإسكندرية*، (٢٠١٠م)، العدد الأول: ص١٤٣-١٥٨ /العدد الثاني: ص١٢٧-١٣٩ /العدد الثالث : ١٤٣-١٥٢.

لقد استُخْدِمت طريقة الشعر النثري المُستقاة من تسابيح الترجمة السبعينيّة في كثيرٍ من أناشيد الكنيسة الأولَى ولكن (في القرن الثاني الميلادي) سرعان ما بدأ التأليف الذي يتّخذ أوزانًا شعريّة أكثر إحكامًا مثل قصيدة "يا لجام المُهر" للقديس كليمندس السكندري، وقصيدة "البارثينيون" (البتوليّة) لميثوديوس الأولمبي، والشعراء السريان العظام أفراهات الفارسي ومارإفرام. و(في القرن الرابع الميلادي) تجلّت الأوزان الرسميّة للشعر الكلاسيكي في قصائد القديس غريغوريوس اللاّهوتي وأيضًا باسيليوس الكبير وهيلارى أسقف بواتييه. هذا النُضْجُ الشعري والفكري ليس حركة مُنظّمة بقدر ما هو نتيجة طبيعيّة للحالة الجديدة للكنيسة في المجتمع المدني. فالكنيسة أصبحت هيكلاً عامًّا مُنفتحًا، ينبغي عليها أن تجد طُرُق جديدة لتوصيل رسالتها إلى مجتمعٍ نصف وثني.[٦] ومن بين مُساهمات مخطوطات أرض مصر في معرفة تطُّور هذا الانفتاح الثقافي واستخدام الأنماط الأدبيّة الكلاسيكيّة اليونانيّة للشعر المسيحي، بعد زمن القديس غريغوريوس اللاّهوتي (القرن الرابع الميلادي)، وقبل ظهور أنماط جديدة في القرن السادس الميلادي في شِعْر رومانوس المُرنِّم، هي قصيدة "لأجل إبراهيم": المحفوظة ضمن مجموعة من المخطوطات التي تحتوي على رؤى في شكل أشعارٍ *Codex of Visions*.[٧]

---

[٦] لقد ألّف بعض الهراطقة أيضاً القصائد الشعريّة والمزامير لتمرير تعاليمهم فى الكنيسة مثل الغنوسيين باردیسيان وفالينتينوس وقصيدة آريوس الشهيرة 'ثاليا' وقد تنبّهت الكنيسة لهذا، ففي القانون ٥٩ لمجمع اللاذقية نقرأ 'لا يجوز أن تقرأ فى الكنيسة مزامير نظمها بعض الأفراد أو أي قطعة من الكتب غير القانونية. بل كل ما يُقرأ يجب أن يختار من الكتب القانونية فى العهدين القديم والجديد' ويُفسر هذا أن كل ما تجيزه الكنيسة رسميّاً يجوز استعماله وما لم تُجِزْهُ وجب نبذه. (حنانيا الياس كسّاب، *مجموعة الشرع الكنسى*، ١٩٩٨، ص٢٣٨).

[7] Kevin James Kalish, *Greek Christian poetry in classical forms: The "Codex of Visions" from the Bodmer Papyri and the melding of literary traditions*, (Ph.D. diss., Princeton University), 2009.

قصيدة بودمر ٣٠

من بين كنوز البرديّات المحفوظة في مجموعة السويسري Martin Bodmer[٨] هي قصيدة شعريّة يونانيّة مُكوّنة من ٣٠ سطرًا بالوزن السداسي، بعنوان "لأجل إبراهيم" Πρὸς Ἀβραάμ، وقد نشرها لأوّل مرّة Enrico Livrea عام ١٩٩٤م[٩] ثمّ نشرها أيضًا André Hurst وJean Rudhardt عام ١٩٩٩م[١٠]. والبرديّة، كما هو معتاد، ليست خالية من التلف، فمعظم السطور تحتوي على فجوات ويوجد سطران كاملان مفقودان تمامًا، وبالرّغم من كلّ هذا، يوجد ما يُساعد المُحرِّر في قراءة النصّ قراءة صحيحة ألا وهو أنّ الوزن الشعري معروفٌ وأنّ القصيدة مُرتّبة أبجديًّا بحسب حروف اللُّغة اليونانيّة، بالإضافة إلى أنّ موضوع القصيدة معروفٌ وهو: إعادة صياغة نصّ قصّة ذبح إسحق كما جاء في تكوين ٢٢.[١١]

مكان وزمان المخطوط

لا توجد أيّة إشارات قديمة عن هذه القصيدة إلى الآن ولا عن مؤلِّفها. لقد تمّ العثور على هذه القصيدة لاحقة لقصيدة مسيحيّة أُخرى طويلة تُدعَى "رؤية دوروثيئوس"[١٢]، وهذه المجموعة اكتُشفَت عام ١٩٥٢م بالقرب من دشنا (بمحافظة قنا) وامتلكها تاجر الآثار القبرصي Phokion Tano الذي باعها لمارتن بودمر فيما بعد. ويرى Livrea أنّ هناك كثيرًا من نقاط التلاقي بين القصيدتيْن لذا يُرجِّح أنّ دوروثيئوس هو مؤلّف قصيدة "لأجل إبراهيم" أيضًا،

---

[8] R. Kasser, 'Bodmer Papyri', *The Coptic Encyclopedia* 8 (1991) pp. 48-53.
[9] Enrico Livrea , 'Un poema inedito di Dorotheos: *Ad Abramo*' *Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphik* 100 (1994) 175-187.
[10] A. Hurst & J. Rudhardt, *Papyrus Bodmer XXX-XXXVII: "Codex des Visions." Poemes divers*, München 1999.
[11] Ton Hilhorst, 'The Bodmer poem on the sacrifice of Abraham' in: Edward Noort, Eibert J. C. Tigchelaar, *The sacrifice of Isaac: the Aqedah (Genesis 22) and its interpretations*, Brill 2002, pp. 96- 97.
[12] A. Hurst, O. Reverdin & J. Rudhardt, *Papyrus Bodmer XXIX: Vision de Dorotheus*, Cologny-Geneve 1984; A. H. M. Kessels & R W. van der Horst, 'The Vision of Dorotheus (Pap. Bodmer 29). Edited with Introduction, Translation and Notes,' *Vigiliae Christianae* 41 (1987) 313-359.

بينما يرى Hurst و Rudhardt أنّ السِمات اللُّغوية تنفي نسبة القصيدة لدوروثيئوس.[١٣]

البرديّة نفسها يرجع تاريخها إلى العقود الأولى للقرن الخامس ولكن القصيدة بالتأكيد أكثر قِدمًا، ولا تتعدَّى القرن الرابع، كما رجّح المُحرِّرون في طبعاتهم.[١٤]

محتوى ومضمون القصيدة

تتضمَّن هذه القصيدة إعادة صياغة شعريّة مسيحيّة لقصّة تكوين ٢٢؛ الرواية الشهيرة لتقديم إسحق ذبيحة، والتي تُعَرف في التقليد اليهودى بـ (עקידת יצחק)، وهي قصّة كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في أدب العصور الأولَى للمسيحيّة سواء في التقليد المسيحي أو اليهودي.

تتكّون القصيدة من ثلاثة أجزاء موضَّحة عبر الناسخ بعناوين: الأسطر (١ ـ ٣) نوع من الافتتاحيّة؛ (٤ ـ ٢٧) هي قصيدة مُركَّبة أبجديًّا، فكلّ سطرٍ يبدأ بحرفٍ من حروف اللُّغة اليونانيّة بالترتيب؛ وأخيرًا (٢٨ ـ ٣٠) هي خاتمة القصيدة.

نصّ القصيدة

نورد هنا النصَّ كما نُشِر في طبعة Hurst و Rudhardt مع ترجمة إلى اللُّغة العربيّة. الأقواس المُربّعة تدلُّ على فجوات في البرديّة؛ والحروف التي بداخلها هي من وضع المُحرِّرين. النقطة أسفل الحرف تدلُّ على أنّ الحَرف تعريفه غير مؤكَّد والشَرطة المائلة لتوضيح السطور.

---

[13] Livrea, *Op. cit.*p.176-177; Hurst &Rudhardt, *Op. cit.* p. 9-10.

[14] Pieter W. van der Horst, 'A New Early Christian Poem on the Sacrifice of Isaac (Pap. Bodmer 30),' in A. Hurst & J. Rudhardt (eds.), *Le Codex des Visions* (Recherches et rencontres 18), Geneve: Librairie Droz, 2002, 155-172; Hurst &Rudhardt, *Op. cit.* p. 5-24

Πρὸς Ἀβραάμ

ὑπέ[ρθ]ετα/
Ὃς κόσμον συνέζευξε καὶ οὐρανὸν [ἠδὲ θά]λασσαν/αἰθέρος ἐκπροΐαλλε τῶι Ἀβραὰμ ἄγγ[ελον] ὠκὺν/ ῥέξαι ἐὸν φίλον υἷα τεληέσσην ἑκατόμβην./

5| *Κατὰ στοιχεῖον*/
αὐτίκα δ'ὡς ξυνέηκεν ἐχήρατο πρόφρονι θυ[μῶι/ **β**ῆ δ' ἴμεν εἰ πεπίθοιεν ἀγακλειτὴν παράκοι[τιν·/ „**γ**ύναι ἐμή, ποθέει θεὸς ἄμβροτος φρα κομ[ίσσω/ **δ**ῖον Ἴσακ, μέγα δῶρον ἔῃ[ν] ἐπὶ γήραο[ς ο]ὐδ[ῶι/ 10| **ἐ**κγενέτης· ελέσειεν τ[ῶι γε θεοῦ τὸ θέλ]ημ[α·/ **ζ**εύξω ἐμὸν ποτὶ βωμ[ὸ]ν ὀρ[εγνὺς υἱὸν] ἄθι[κτον"./ **ἠ**ύξατο δ' ὡς πεπύθε[σ]κε γυν[ὴ] πεπνυμέ[να βάζει]ν./ „**θ**άρασει, ἐμὸν φίλε τέκνον, ἐπ[εὶ] μάκαρ π[λεο σὺ ζ]ῶν/' Ἴσα[κ] ἐμῶν μελέων τ[έκος].κι.[/ 15| [**κ**... / [**λ**... /

لأجل إبراهيم

مقدّمة
الذي جَمَّع العالمَ والسماءَ [والبـ]حر معًا / أرسل من الأثير[١٥] ملا[كا]ً طائرًا إلى إبراهيم (بوصيّة)/ ليذبح ابنه المحبوب كتقدمةٍ كاملةٍ.

بحسب الستيخون (أبجديًّا)
حين أدرك ذلك، على الفور ابتهج بقلبٍ مُنشرِح، / وذهب ليرى ما إذا كان يقدر أن يُقنِع زوجته الذائعة الصيت:/ 'يا زوجتي، اللّه غير المائت يريد أن [أُحضـ]ر له/ العزيز إسحق. [لقد كان؟] عطيّة عظيمة على عـ[تبة] شيخوختنا[١٦]، / من يوم مولده[١٧]. ليُتمِّم [مشيئة اللّه] (؟)[١٨]/ فسوف أوثق المـ[كرَّس (؟)[١٩] ابني] على المذبح كتقدمةٍ.'/ عندما سَمِعَت المرأة هذا، كانت مفتخرةً[٢٠] [بقولها] كلمات الحكمة (هذه):/ 'تشجّع، يا ولدي العزيز، لأنّك [كنت] سعيدًا في [هذه الـ]حياة، / إسحـ[ق، ولدٌ] من

---

[١٥] أي : السماء العُليا.
[١٦] خاتمة هذا البيت متعارف عليها فى قصائد هوميروس اليونانية.
[١٧] جاءت في النص (**ἐ**κγενέτης) بينما بحسب طبعة Livrea فهي (*ἐκ γενετῆς*) وأرى أنها أكثر تماشياً مع النص لذا تم اعتمادها في الترجمة، لذا لزم التنويه.
[١٨] يمكن أن تكون: *لنجعل سليلنا يتمم مشيئة الله*.
[١٩] يمكن أن تكون: *الذى بلا عيب* أو *البتول*.
[٢٠] أو : *مُبتدئة*.

μείλιχα] καγχαλόων προσεφώνεε φαίδιμος υἱός·/ „**ν**υμ[φί]διον θαλερὸν θάλαμον τεύξασθε τοκῆες„/ **ξ**αν[θ]ήν μοι πλοκάμοισι κόμην πλέξασθε πολῖται„/ 20| **ὅ**φ[ρ' ἱερ]ὴν τελέσαιμι χάριν μεγαλήτορι θυμῶι''./ **π**[ῦρ αὐ]τὰρ περὶ βωμὸν ἐτείχισαν ἵστορες ἀμφίς„/ **ῥ**[οίβδη]σεν δὲ θάλασσα περὶ φλόγα, τὴν ῥὰ Μοϋσὴς/ **σ**[χίσε]ι· Ἀβραὰμ υἱὰ ποτιξυναείρετο κῦμα./ **τ**[ὸν δ' ἔ]φερεν θυόεντα πατήρ, χαίροντα δὲ βωμῶι/ 25| **ὑ**ψόθε]ν Ἡφαίστοιο δειδίσκετο, θύνατο δὸξὺ/ **φ**άσγανο]ν αὐχένεος ποτιφεινέμεν· ἀλλὰ θεοῖο/ **χ**ειὶρ μὴν ἀμ]φετάνυστο· φάνεσκε γὰρ ἐγγύθι μῆλον·/ **ψ**ῆλεν δ' Ἀβρ]αὰμ, υἱὰ σώων, ἀνὰ δένδρεα καρπὸν/ **ὥ**στε προσθ]ἐμενος τό ῥ' ἐλέξατο δαῖτα πονεῖσθαι./

30| *τὰ λοιπ]ὰ πρόσθετα*/ αὐτ[ίκα σύ,] μεγάθυμε, λάχοις γέρας λλο κατ'

أحشائي[٢١]، [...]/ {حرف الكبَّا...}/ {حرف اللمبدا...}/ بملء الضحك العذب تحدّث إليهم ابنهم المُشْرِق (قائلاً)/ 'يا والداي، أعدّوا ليّ غرفة عُرس[٢٢] فخمةٍ! / أيّها المواطنون، ضفّروا شعري الجميل لضفائرَ، / لأنني] سأتمّم مُهمّة [مقدّسة بكلّ قلبي.'/ [وللوقت استطاع الرجال أن يشعلوا النار حول المذبح./ وحول اللّهيب يموج البحر الذي/ [سيُقسِمه] موسى. رفعت الموجة ابن إبراهيم (؟)./ أحضر الأب (ابنه)، رائحة البخور، إلى المذبح، و(الابن) فَرِحَ./ واحضره (؟) [على قمّة النار؟[٢٣]] وأسْرَع لكي/ يضرب عنقه بـ[سكينٍ] حادٍّ. لكن [يد] اللّه/ امتدّت (نحوه)، لأنّ خروف[٢٤] قريب قد ظهر./ تاركًا ابنه سالمًا، [التقط إبراهيم (؟)[٢٥]] الثمرة من بين الأشجار/ [ثم استكمل] واختار ليُعِدّ هذا (الخروف) كوليمة ذبائحيّة /(؟)

الباقي خاتمة

[...؟] أيّها الرجل الشجاع، اقتني الآن

---

[٢١] حرفيّاً: من أعضائي.

[٢٢] انظر: هوميروس، الأوديسا ٦، ٦٦ ؛ ٢٠: ٧٤.

[٢٣] حرفياً: *هيفايستوس* (إله النار عند اليونان).

[٢٤] أو 'نعجة' ، انظر التعليقات علي النص.

[٢٥] يمكن أن تكون: *وتغنّى بتسبحة لـــ..*

αὐτὸ/ χίλια[τέκνα σ]ε τοῖον ἐπαυγάσαι ἀνθεμόεντα/ δωρο[δότη]ν πανάριστον ἐπεμβεβαῶτ' ἐπὶ πύργωι./

مكافأة أخرى لذلك:/ إنّ آلاف [الابناء] يجعلونك مُضيئًا، أنت أيّها المُزْدَهِر (؟)، / مُعطي التقدمات البديع، الذي تسلّق البرج[٢٦].

تعليقات على النص[٢٧]

تُقدِّم هذه القصيدة إعادة صياغة لقصّة (تك ٢٢) بحسب تقليد الشِعْر اليوناني، وهي تعتبر أوّل تجربة تتعامل مع الرواية الكتابيّة بهذا الأسلوب، حيث استخدام الوزن واللُّغة الشعريّة المدنيّة.

في البداية، نجد كاتب القصيدة يَهدِف في قارئه إلمامًا بالقصّة بل وبأسفار موسى الخمسة عامةً. حيث نجد أنّه يُشير إلى الخليقة (سطر٢) وموسى (سطر٢٢) بوضوحٍ. بخلاف، مثلاً، عِظة للقدّيس غريغوريوس النيسي[٢٨] الذي يستهلّها بتنبيه سامعيه أنّه ربّما بعضًا منهم على دراية بقصّة إبراهيم.

يمكننا، بمقارنة نصِّ القصيدة بالأدب التفسيري للكنيسة الأولى[٢٩] أنْ نُلقي الضوء على عِدّة نقاط:

---

[٢٦] جاءت الثلاثة أبيات الأخيرة كقراءة مسيحيّة لـــ (تك٢٢: ١٧)، وأيضاً البرج هو من رموز الكنيسة كما جاء في كتاب الراعي لهرماس.

[27] Ton Hilhorst, 'The Bodmer poem on the sacrifice of Abraham' in: Edward Noort, Eibert J. C. Tigchelaar, *The sacrifice of Isaac: the Aqedah (Genesis 22) and its interpretations*, Brill 2002, pp. 102- 107.; Pieter W. van der Horst, 'A New Early Christian Poem on the Sacrifice of Isaac (Pap. Bodmer 30),' in A. Hurst & J. Rudhardt (eds.), Le Codex des Visions (Recherches et rencontres 18), Geneve: Librairie Droz, 2002, 155-172.

[28] *De deitate filii et spiritus sancti et in abraham* (PG 46, 567).

[29] Cf. D. Lerch, *Isaaks Opferung christlich gedeutet*, Tubingen 1950; S.P. Brock, 'Genesis 22 in Syriac Tradition,' *Mélanges Dominique Barthélemy*, Fribourg-Gottingen 1981, 2-30; R. M. Jensen, 'The Offering of Isaac in Jewish and Christian Tradition,' *Biblical Interpretation* 2 (1994) 85-110; & M.F.G. Parmentier, *Isadk gebonden – Jezus gekruisigd: Oudchristelijke teksten over Genesis 22*, Kampen 1996.; E. Kessler, *Bound by the Bible. Jews, Christians and the Sacrifice of Isaac*, Cambridge 2004.

١ ـ فرح إبراهيم

كثيرٌ من المُفسِّرين المسيحيّين يُشدّدون على الحُزن البشري لإبراهيم رجلُ الإيمان، ولكن البعض (كما في القصيدة)، أيضًا، يُقدِّم إبراهيم، ليس فقط أنّه آمن ولكنّه أيضًا فَرِحَ. وبالطبع هذا الفرح لا يستمد أصوله من مشاعر سلبيّة تجاه إسحق، على العكس تمامًا، فإسحق هو "الابن المحبوب". ففرَحْ إبراهيم عند ذبح إسحق، له خلفيّة مختلفة. بعيدًا عن التفسير الشهادي martyrological ـ أي شجاعته في التضحية تنفيذًا لوصيّة الله ـ الذي نلمسه، أيضًا، في المصادر اليهوديّة (٢، ٤ مكابيين)، هناك تفسيرٌ خريستولوجيٌّ.

على سبيل المثال يرى ق. إيرينيؤس (انطلاقًا من يو٨: ٥٦) أنّ إبراهيم أطاع وصيّة الله بذبح ابنه، وفرح بها لأنّه يعرف ماذا ينوي الله أن يفعله على المدى البعيد[٣٠]. والذين يؤمنون على مثال إبراهيم هم المسيحيّون الذين يرون حياة وآلام يسوع المسيح تمثّلت مُسْبَقًا في ذبيحة إسحق، على عكس اليهود الذين لا يستمدّون معاني النصّوص الكتابيّة من حياة وموت يسوع المسيح.

أمّا أوريجينوس[٣١] فيرى أنّ رجاءَ إبراهيم لم يكن فقط على قيامة المسيح الآتي من ذرّيته ولكنّه (رجاء) على قيامة إسحق نفسه، فقد آمن بأمورٍ لم تكن قد حدثت بعد، أي أنّه آمن أنّ الله يستطيع أن يقيم الموتى. ويُعلِّق القديس أثناسيوس الرسولي في رسالته الفصحيّة السادسة[٣٢] على (يو٨: ٥٦) بقوله: "... لأنّه هكذا تهلّل أبُ الآباء (البطريرك) إبراهيم ليرى، لا يومه (الخّاص)، بل (يوم) الرب؛ وإذ تطلّع إلى الأمام، رآه وفَرِحَ"، وفي سياق الجدل المسيحي / اليهودي حول

---

[30] *Against the Heresies* IV,5,4—5.

[31] *Homily 8 on Genesis.*

[٣٢] *الرسائل الفصحية للقديس أثناسيوس الرسولي (الجزء الأول)*، ترجمة: د. وهيب قزمان بولس، مراجعة: د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة (٢٠٠٦م)، صـ ٨٦، ٨٧.

مسيانيّة يسوع. بدأ القديس أثناسيوس في مناقشة ذبيحة إبراهيم. حيث ذهب إلى أبعد من ذلك بأنّه يرى سبب إيقاف اللّه لذبح إسحق في أنّه: "لئلاّ يتّخذ اليهود من ذبح إسحق فرصة لرفض الإعلانات النبويّة عن مُخلِّصنا (يسوع المسيح)" كما جاء في (مز٣٩: ٦ سبعينية): «ذبيحة وتقدمة لم تُسر (يا اللّه)، ولكن هيّأت لي جسدًا» ولئلاّ يظنّوا أنّ كلّ هذه (الإعلانات) تشير إلى ابن إبراهيم. ومع ذلك فلم يكن موت إسحق ليَهِبُ الحريّة للعالِم، بل موت المسيح مُخلِّصنا، فقد أقامنا المسيح جميعنا من الموت وإذ أبطل الموت أخرجنا من الحزن والتنهُّد إلى الرّاحة والفرح لوليمته الاحتفاليّة. ويستطرِد القديس أثناسيوس في موضوع الفرح بعد ذلك. يمكننا أن نخلُص إلى أنّ: إبراهيم فَرِحَ، لأنّه سبق فرأى كلّ ذلك.

٢. إبراهيم يحاول إقناع سارة

من الملفت للنظر في نصّ القصيدة، وجود دورٍ إفتراضيٍّ لسارة، أم إسحق، في قصّة تقديم الذبيحة، فالنصّ الكتابيّ تجاهل تمامًا أي دور تؤدّيه سارة في الروايّة وهذا ما تَبِعَه مُعظم المفسّرين المسيحيّين، ولكن بعض الكُتّاب سجّلوا حديثًا افتراضيًّا لسارة، فنجد ملاحظة لجامع المصادر القديمة (من القرن التاسع الميلادي)، يشوعداد من مرو، أنّ الآراء انقسمت فيما إذا كان إبراهيم قد أخبر سارة بهذا الأمر أم لا.[٣٣] وفي الواقع هناك، أيضًا، وثائق تقليديّة سجّلت حوارًا فعليًّا بين إبراهيم وسارة. وبعكس قصيدتنا التي تُسجِّل حديثًا من طرف واحد monologue فإنّنا نجد في التقليد السرياني ما يُعرف بـ "الأشعار الحواريّة"[٣٤] حوارًا مزدوجًا dialogue بين إبراهيم وسارة يوضِّح مشاعر الأمومة المتأجّجة تجاه إسحق[٣٥]:

---

[33] J.-M.Voste et C. van den Eynde, *Commentaire de Isho'dad de Merv sur I'Ancien Testament. I. Genese*, in: CSCO Vol. 126 = SS Tome 67, Louvain 1950,173; CSCO Vol. 156 = SS Tome 75, Louvain 1955, 187.

[34] S. Brock, "Two Syriac verse homilies on the binding of Isaac", *Le Museon* 99 (1986)

أنت لا تدرك كيف عانيت (من)
الآلام والمُخاض الذي جاء من خلالها.
أَقِسم لي به أن لا شيء سوف يحدث له،
لأنّه رجائي. ثم ارحل.

ويردّ إبراهيم:

اللّه القدير الذي فيه أنا أؤمن
وقف ضامنًا لي معكِ إذا آمنتِ يقينًا
أنّ ابنكِ سوف يعود قريبًا
وسيبقَى عزاؤكِ بشبابه.

٣. استجابة سارة

من النادر العثور في المصادر القديمة علي حديثٍ لسارة توجّهه إلى إسحق[٣٦]، فلقد سجّل لنا امفيلوخيوس أسقف أيقونيّة (القرن الخامس الميلادي)[٣٧]، حديثًا كهذا وهي تقول فيه إنّها تترجَّى أنّ اللّه سوف يمنع هذه الذبيحة في اللّحظات الأخيرة وسيُحوّلها إلي "ذبيحة غير دمويّة"، لذا فهي تتوقّع رجوع إسحق حيًّا. بعد هذا الحديث يقاطعها إبراهيم متعجّلاً لئلا تُغيِّر رأيها. وأيضًا، يشرح رومانوس المرنّم (القرن السادس) بعض المشاعر المماثلة التي تقع بين الرجاء والخوف[٣٨]. وفي عِظة سريانيّة[٣٩]، أيضًا، تحثُّ سارة إسحق علي طاعة أبيه وهي باكية: "عندما تذهب مع أبيك، اسمع وافعل كلّ ما يقوله لك، وإن كان ينبغي عليه، فعليًّا، أن يوثقك، مدّ يديك إلى الأربطة، وإن كان ينبغي عليه، فعليًّا، أن يذبحك، مدّ عنقك أمام سكّينه، مدّ رقبتك

= 61-129.
[35] Ed. S. Brock, *Sughyotho mgabyotho (= Select Dialogue Poems)*, Glane 1982, 7-12.
[36] Brock, "Two Syriac verse homilies", p. 69.
[37] *On the Patriarch Abraham*, ed. L.van Rompay in: C. Datema (ed.), *Amphilochii Iconiensis Opera*, CCSG 3, Turnhout 1978, 280-281.
[38] *Kontakion on Abraham and Isaac III 14* (in SC 99, cf. esp. 152/153 and 154/155).
[39] Brock, "Two Syriac verse homilies" p. 122-125.

كخروفٍ، كطفلٍ، أمام الجازّي". وعند عودته، تتهلّل قائلةً: "مرحبًا، ابني، حبيبي، مرحبًا، طفل وعودي؛ مرحبًا، أيّها المائت تعال إلى الحياة، مرحبًا ... ". ويشدّد، أيضًا، القديس غريغوريوس النيسي، في عِظته، على دور سارة وشجاعتها[٤٠].

٤. فرح إسحق

هناك تقليدٌ قديمٌ ومنتشر حول فرح إسحق بذبيحة نفسه، وهذا يتوافق مع فرح إبراهيم أيضًا (يو٨: ٥٦). فيكتب كليمندس الروماني: "وإسحق، لعِلمه بما سيحدث، كان مُفْعمًا بالثقة، وانقاد بفرحٍ، كذبيحةٍ"[٤١]. وبنفس الطريقة يتحدّث ميليتوس أسقف ساردس: "كان إسحق صامتًا، مربوطًا ككبشٍ، لا يفتح فاه، ولا يُصْدِر صوتًا، لا لأنّه كان يخشَى السيف أو يحذر من النار، ولا كان يتأسّف بخصوص التقدمة، فهو يحمل بشجاعةٍ مِثال الربّ"[٤٢]. أمّا عند القديس كليمنس السكندري[٤٣] فيؤدّي المعنى الاشتقاقي لاسم "إسحق" دورًا كبيرًا، حيث يُفسَّر بـ "الضحك"، فيربط معنَى الاسم بتقليد فرح إسحق بعد انتهاء الذبيحة، وبالرغم من أنّه وَجَدَ أساس ذلك في نصّ التكوين فيما بعد القصة (أي الذبيحة كعُرسٍ)، إلاّ أنّ مشهد إسحق الفَرِح قبل الذبيحة هو بالطبع الأكثر روعة.

٥. غُرفة العُرس

في حديث إسحق الموجَّه لوالديه، يَعتَبِر إسحق أنّ ذبيحة نفسِه هي بمثابة العُرس الفخم!. وبعيدًا عن الميراث اليوناني الذي يعتبر الموت هو عُرسٌ مع إله العالم السُّفلي Ἅιδης. فإنّ خلفية هذا التعبير يتناقض، ظاهريًّا،

---

[40] *On the divinity of the Son and the Spirit and on Abraham*, GNO X,2, Leiden 1996, p. 135.
[41] *1 Clement 31.3.*
[42] *Fragment 9.* (*Melito of Sardis, On Pascha and Fragments*. by Stuart George Hall. OECT. Oxford, 1979)
[43] *Paidagogos 1,5,22: 2,3.*

مع وعد الله لإبراهيم بأنّه سوف يُكثر نسله. بهذا يُظهِر إسحق إيمانًا راسخًا في وعد الله.

ونجد في عظة القديس غريغوريوس النيسي أنّ إبراهيم كان يعتقد في أنّ الله سوف يوصيه بأنْ يُزوِّج ابنه، حتى إنّه في حوارٍ تخيُّليٍّ ردًّا على وصيّة الله بذبح ابنه، يقول: "هل هذه هي غرفة العُرس التي سأبنيها؟ هل هذه هي السعادة الزوجيّة التي سأعدّها؟ أأشعل المحرقة الجنائزيّة له بدلاً من خروف العُرس؟ ألهذا السبب سوف أُكلّل؟ أبهذه الطريقة سوف أكون أبًا لأممٍ كثيرةٍ، حيث لا يوجد ولدٌ يعترف بي؟"[٤٤].

٦. لهيب البحر

بحسب رؤية مُحرّري نصّ البردية، إنّ النصّ يشير إلى خضوع إسحق لمعموديّة رمزيّة في لحظةِ تقديمه ذبيحة. ولا نجد لهذا التفسير، بهذا الشكل، ما يُقابِله في المصادر القديمة. مع ذلك نجد أنّ المعموديّة نوقشت في سياق (تك ٢٢)، علي سبيل المثال، يربط القديس كليمندس السكندري بين رحلة الثلاثة أيام لإبراهيم (تك٢٢: ٣ ـ ٤) والمعموديّة (الختم) على اسم الثالوث[٤٥]. ويرى القديس كيرلّس الأورشليمي أنّه: لأنّ إبراهيم أعدّ، ليذبح ابنه، نال الختان لختم الإيمان، ولأن المسيحيّون، الذين يتبعون إيمان إبراهيم، أصبحوا أولادًا لإبراهيم، ويتقبّلون "مثله الختم الروحي، إذ نُختَن بالروح القدس، خلال المعموديّة، ليس في غرلة الجسد بل في القلب." [٤٦]

وبالرغم من عدم ذِكر الختان صراحةً في قصيدتنا، إلاّ أنّ النصّ يُقدِّم نوعًا من الرؤية التصويريّة المُسْبَقة *prefiguration* للمعموديّة المسيحيّة في ذبيحة إسحق. حيث إنّ البحر (الأحمر) نموذجٌ شهيرٌ للمعموديّة في

---

[44] GNO X,2 134,15-19.

انظر أيضاً: القديس غريغوريوس النزينزي، عظة ١٥: ١٠ (PG 35.929B)

[45] *Stromateis V, 11,73.*

[46] *Catechesis V,5-6.*

النصوص الآبائيّة، وكما يخبرنا Daniélou أنّ المصادر القديمة دائمًا ما تربط بين ذبيحة إبراهيم وقصّة الخروج من مصر (خروف الفصح).[٤٧]

٧. يد الله

يؤكّد لنا نصّ (تك٢٢) أنّ ملاك الرب هو الذي استوقف إبراهيم في اللّحظة الأخيرة، أمّا في القصيدة، إنّها يد اللّه هي التي أرجعته. نجد، أيضًا، في عِظة سريانيّة أنّ "يمين الربّ ظلّلت كصوتٍ من الأعالي"[٤٨] - (انظر: مز١٣٨: ٧ - ٨). ونجد هذا المشهد (يد اللّه بدلاً من الملاك)، أيضًا، في التصوير اليهودي مثل: موزاييك بيت ألفا في معبد دورا أوربوس (في سوريا حاليًّا)، وفي كثيرٍ من التوابيت المسيحيّة القديمة[٤٩]. ربما نحن هنا أمام تأثيرات يهوديّة على الميراث المسيحي.

٨. الخروف / التفاحة كثمرة بين الأشجار

أدّت العلاقة النماذجيّة بين ذبيحة إسحق غير الكاملة وذبيحة المسيح الكاملة إلى تسميات يونانيّة مختلفة لـ"الكبش" κριός بديل الذبيحة في قصة التكوين. هذه التسمية قريبة من مفهوم "خروف الذبيحة". ومن السلاسل التفسيريّة يظهر مدى اجتهاد آباء الكنيسة في اكتشاف تطابق المشهديْن باستخدام تسميات مختلفة. ميليتوس أسقف ساردس يقول: "الربّ كان الخروف αμνός مثل الكبش κριός الذي رآه إبراهيم مُمسَكًا ἐν φυτῷ Σαβέκ في شجرةِ الشيباق (العلّيقة بالعبرانية)"[٥٠]. بينما يرى يوسابيوس الحِمْصي (القرن الرابع الميلادي) أنّ الكبش لم يكن بالتحديد هو الخروف الصغير αμνός νέος مثل إسحق، لكنه كان كامل النمو مثل الرب".[٥١] ويستخدم ساويرس

---

[47] J. Danielou, From *Shadows to Reality. Studies in the Typology of the Fathers*, London (1960), 175-201, 119-120.
[48] "Two Syriac verse homilies" 127, at line 77
[49] E.Lucchesi Palli in: E. Kirchbaum (Hrsg.), *Lexikon der christlichen Ikonographie* I, Freiburg 1968, col.24.
[50] *Fragment 10.*
[51] Petit, *La chaine* 236, frg. 1277.

أسقف جبلة (القرن٦/٥) مُصْطَلح "شاة" πρόβατον كما جاء في (إشعياء٥٣: ٧).[٥٢] أخيرًا، يستخدم ميليتوس، كلّ تلك المسمّيات حول علاقة إسحق بيسوع المسيح، فيقول: "ككبشٍ رُبطَ ... كخروفٍ جُزّ، كشاةٍ قُيّد إلى الذَبْح وكخروفٍ صُلِبَ ..."[٥٣]

لا نجد في الميراث التفسيري لتكوين٢٢ كلمة μῆλον "خروف/نعجة" التي استخدمها كاتب القصيدة، في الواقع لا نجد هذه الكلمة في الترجمة السبعينيّة أيضًا، وربّما تمّ استخدام هذا المصطلح غير المألوف عن قصدٍ في القصيدة حفاظًا على السياق الشعري وتماشيًا مع مشهد الثمرة المُعلَّقة بين الأشجارِ لأنّ كلمة μῆλον تحمل أيضًا معنَى "تفاحة" كنوع من اللعب بالكلمات.

وبخصوص الشجرة نجد في تفسير مارإفرام السرياني لسفر التكوين أنّ "الجبل بَصَق الشجرة والشجرة (بَصَقت) الكبش، لأنّه في الكبش الذي كان مُعلّقًا والذي جُعل ذبيحة بدلاً من ابن إبراهيم، اليوم (يو٨: ٥٦) أصبح تصويرًا مُسبقًا للذي عُلِّق على خشبةٍ ككبشٍ وذاق الموت من أجل العالم كلّه".[٥٤] ويتحدّث الحوار الشعري السرياني بالمثل فيقول: "الشجرة التي لم تكن قد صُوِّرت، التي تحمل الثمرة التي لم تكن قد اُستُقبِلَت".[٥٥] ويعلّق Sebastian Brock [٥٦] إنّه، بحسب التقليد اليهودي، فإنّ الكبشَ كان من العشرة أشياء التي خُلِقَت في بداية الخليقة؛ ويُلاحظ أيضًا أنّه في التقليد السرياني نجد ما يُسمّى بـ"الميلاد البتولي" للكبش الذي جاء ليقود حياته الخاصّة!.

---

[52] Petit, *La chaine* 232, frg. 1271
[53] *Fragment 9.*
[54] R.M.Tonneau, *Sancti Ephraem Syri in Genesim et in Exodum commentarii*, in: *CSCO 152, SS71*, Louvain 1955, 84.
[55] *Sughyotho* 10.
[56] "Genesis 22 in Syriac Tradition" 28 n. 72.

الخلاصة

تُقدّم لنا القصيدة الكثير من نقاط التلاقي بينها وبين الميراث التفسيري المسيحي في: فرح إبراهيم، حواره مع سارة، حوار سارة مع إسحق، فرح إسحق (انطلاقًا من معنى الاسم)، العُرس كصورة للذبيحة، ارتباط الذبيحة بالمعموديّة، يدُ الله بدلاً من صوت الملاك، وأخيرًا الكبش (الخروف/نعجة) كثمرةٍ بين الشجر.

ولكن هناك، أيضًا، بعض النقاط التي تنفرد بها قصيدتنا المسيحيّة: الحوار أشبه بالمونولوج (أي حديث من طرف واحد)، إسحق يوجّه حديثه لوالديه الاثنين، طلب إسحق تضفير شعره، الدور الفعّال لرفقاء إسحق أثناء تقديم الذبيحة، اعتبار إسحق "رائحة بخور" قبل تقديمه ذبيحة (أي كما لو كان قد أكملها)، وأيضًا اللّعب بالألفاظ بين خروف وتفاحة. ويبدو أنّ هذه النقاط نتاج أدبي أصيل في القصيدة انعكاسًا لخلفيّته من الشعر اليوناني[٥٧] وربما تأثرت بتقاليدَ أخرى (كالتقليد السرياني).

تعود أهميّة هذه القصيدة إلى أنّها من المصادر القديمة لمعرفة تطوُّر التقليد التفسيري لقصة (تك٢٢)، بالإضافة إلي فرادتها كأقدم قصيدة شعريّة صيغت علي أساس رواية كتابيّة باستخدام التقليد الشعري الكلاسيكي.

[57] J.B.Glenthøj, *Cain and Abel in Syriac and Greek Writers (4th-6th centuries)*, CSCO 567, Leuven 1997, p. 275.